في عالم النشر :

حورية من المريخ

للأستاذ علي متولي صلاح

تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة المتوثبة ، من فوق منبر « الرسالة » مجلة الفن والأدب والعلم ، ونعني بها فرقة « المسرح المصري الحديث » التي ظهرت خلال هذا الموسم كما تظهر بوا كير الندى ، وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفي الجمال

أخذ الناس إشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت ، وقالوا : من أين لزغب القطا أن تقوى على ما تنهض أمامه أنفاس النسور ؟ ومن أين للظبي الأغن أن ينهض بما يعيا به الأسد المصور ؟

. . ولكن هؤلاء المشفقين انقلبوا مشدوهين عجبين عند ما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع والآيات لكبار المؤلفين من أمثال : موليير وشيخوف وتيمور ، تنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لكان في الأمة من هو أحق من أمير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربي القديم !

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد في سبيل المجموع ، ومعنى نكران الذات ... فما رأينا واحداً منهم حاول في موقف له أن يسطع على حساب زملائه ، أو أن يسلبه مجداً يراه له حقا . ولعل مرد ذلك فيهم إلى ما لقنوه من ثقافة ومعرفة حرمهما الكثير من رجال المسرح الأقدمين

هؤلاء بحق هم « الأعوان الذين يمكن أن يعتمد عليهم وزير المعارف » كما يقول معالي الوزير الجليل في حديثه مع صديقنا الأستاذ عباس حسان خضر ، وليس عمل هؤلاء قط هو « الترفيه وإضاعة الوقت » كما يقول معاليه عن المسرح عامة في مصر ، وإنما عملهم هو « التعليم وإشاعة الجمال والذوق في نفوس الناس » كما يفعلون بحق ، معرضين إعراضاً ملائكياً عن المادة وسيطرتها على الفن ، والانحدار به إلى مرتبة الوسيلة الرخيصة ، والأداء الذليل !

ولقد كانت آخر مسرحية قامت بها هذه الفرقة هي المسرحية التي جعلناها عنواناً لهذا المقال « حورية من المريخ » ، وهي تدور في جملتها على فكرة واحدة ، تلك هي أن الإنسان كما يضيق بالمتاعب والمصاعب التي يخلقها له من يخالطونه في العيش ، فتكدر صفوه ، وتشرد أمنه ، فإنه يضيق كذلك بالراحة الكبرى والطاعة الداعة والصفو المقيم !

فالزوج « رفعت » يضيق بزوجته « إحسان » لما تحدثه له

أنى الآن لأشعر بالإشفاق على الأهرام نظرا إلى ماضيها وإلى ما نحب لها ، وإلى جانب ما أشعر به من الرغبة في الانتصاف لأديب وصديق ناله عنت ، وألم به ضيق ، فإنه — وإن كان يعاني هذا الذي ناله — سينصفه القضاء وقد أنصفه فعلا ، والقضاء العادل هو أعز ما نملكه في هذه البلاد . أما الصحيفة الكبيرة فلا يشرفها ، ولا يتفق مع ماضيها ، ولا يتفق مع روح العصر ، أن يخرج عامل فيها بعد سنين في خدمتها إلى الطريق صفر اليدين ...

وهنا طرف آخر في هذا الموضوع ، هو نقابة الصحفيين . . لست أدري أي شيء هذه النقابة إن لم يكن مثل هذا من صميم عملها ؟ أليست تسعى لتقرير معاشات للصحفيين الذين يعجزون عن العمل ؟ فما بالها تقف عاجزة عن إنصاف محرر عامل من صحيفة ؟ إن النقابة تمثل أصحاب الصحف والمحررين فهي تجمع بين القط والفأر . . ولا بأس بذلك على أن تقلم أظفار الأول ، ولكن لبأس كل البأس أن تمكن الأول من النهام الثاني ...

عباس خضر

من متاعب متصلة ، فيهب الله له حورية من المريخ حسناء رائعة الحسن تطيعه طاعة عمياء ، وتوافقه فى كل ما يرى ، وتذهب مع هواه حيثما ذهب ، فلا خلاف ولا شجار ، ولا عصيان ولا شقاق ، ولكنها حياة رتيبة هينة لينة ! فيضيق الزوج بهذا الهدوء الشامل ، ويشق بهذا الأمن الكامل ، وتعلم الحورية بما يتلج فى صدره من غم ، وما تسببه هذه الحياة الناعمة له من هم ، فتعود أدراجها إلى المريخ بعد أن تعيد ما انقطع بينه وبين زوجه الآدمية من صلة ، وتسترجع ما كان انبت بسببها من علاقة !

هذه المسرحية تلفحنا منها ريح أسطورة يونانية شهيرة ، هى أسطورة « بجماليون » ذلك المثال البارع الذى صنع تمثالا رائع الفتنة لامرأة سماها « جالاتيا » ولكنه أغرم بالتمثال وتمنى على الإلهة « فينوس » أن تمنحها الحياة ليتخذها زوجاً له ، فاستجابت الإلهة لدعائه ومنحتها الحياة ، وما إن دبت فيها الحياة الإنسانية حتى دبت معها غرائز الإنسان ! فكان أن خانته وهربت منه ! فعاد يتمنى على الإله « أبولون » أن يعيدها إليه ثم يسلبها الحياة ويرجعها كما كانت تمثالا من العاج ، فاستجاب له الإله وأعادها كما كانت فهوى عليها بجماليون فحطمها تحطيما !

تلك هى الأسطورة القديمة التى نشم رائحتها قوية فى « حورية من المريخ » فإن صح ما تحدس به فإن المؤلف يكون قد استطاع الانتفاع بالأسطورة القديمة أكبر انتفاع ، ولا لوم عليه فى ذلك ولا تثريب . وليت الكثير من أدبائنا يحسنون الانتفاع بهذه الأساطير إذن لأثرى الأدب العربى إثراء كبيرا

ويأخذ الأستاذ زكى طليمات فى مقدمته التى كتبها للرواية على المؤلف أنه « أجرى الحوار فيها تارة باللهجة العامية وتارة باللغة العربية الفصحى ... وقد كان يفضل أن تشمل المسرحية كلها وحدة فى الأسلوب البيانى حتى تحتفظ بطابع واحد من التعبير اللفظى يسوده الانسجام اللغوى » ولسنا نذهب هذا المذهب حتى ولو استطاع المؤلف أن يستنبط إمكانيات أخرى يبتغى بها استقامة مفاجآت المسرحية ومشوقاتها كما يقول الأستاذ زكى طليمات

فلو أن الحورية تكلمت باللهجة العامية لانتفت عنها من فورها صفة الحورية ولكانت بشرا ممن يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ! فنحن نعلم أن العامية هى لغة السواد من الناس وأين الحورية من هذا السواد ؟

ولنا — بعد — على المسرحية ملاحظات يسيرة نتوجه بها إلى هذه الفرقة المرموقة المأمول منها خير كثير ، نتوجه بها إليها فى رفق ولين ، ولكن هذا الرفق لن يطول أمده ، وسنأخذها فيما بعد بصرامة الحق وصراحة القول فذلك أنفع لها وأجدى عليها ، ونجمل تلك الملاحظات فيما يأتى : —

١ — يتكلف الأستاذ « عدلى كاسب » شخصية الأستاذ « حسن فائق » تكلفا ظاهرا جدا وأرجو أن يعلم الأستاذ أن فى هذا التكلف إفناء لشخصه وإعلاء لشخص الأستاذ حسن فائق ! فالناس إذ يرونه كذلك لا يذكرونه وإنما يذكرون حسن فائق !

٢ — الأبيات التى يرويها الزوج « الأستاذ نور الدمرداش » لملقمة الفحل يرويها مكسورة ويها بعض الأخطاء . وليس مما ينهض عذرا له أنها وردت كذلك فى الأصل المطبوع فقد كان عليه بل كان على المخرج أن يتلافى هذا الخطأ وبخاصة الكسر الذى فى البيت الأول والبيت الأخير . . وصحة الأبيات هى كالآتى مأخوذة من الديوان ومن الجزء الثالث من كتاب « نهاية الأرب » وكما ينبغى أن تكون وأرجو أن يرويها كذلك مستقبلا : —

فإن تسألونى بالنساء فإننى ... عليم بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له فى ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب

٣ — انتقلت ملابس الحورية فجأة من ملابس الحوريات الغريبة ، فصارت بمجرد هبوطها إلى الأرض ومن أول لحظة ملابس « إسبور » وبنصف كم ! وعندى — ولو أن هذا مصدر من مصادر سوء التفاهم لاستحالة فهم الأنامى الذين يعاشرون الزوج أنها من حوريات المريخ وهى تلبس ملابسهم — عندى أنه كان الأولى أن تنتقل من ملابس الحوريات إلى ملابس الآدميين المعاصرين الإسبور انتقالا تدريجيا لتبقى لها هالة الحوريات بعض البقاء الخفيف وبحيث لا يجب ماضيها جبا ، ولم تبقى لها لفتها دون ملابسها ؟ ؟

٤ — شخصية الأستاذ « عزى عثمان » فى دور « صلاح »

صديق الزوج ضعيفة باهتة جداً يمكن وصفها بأنها لا لون لها ولا رائحة، ولم يستطع أن ينفث الحياة في شيء مما قال بتاتاً؛ مع أن في دوره ما كان يمكن أن تدب فيه حياة حارة نابضة

٥ — كان وضع «الميكروفون» غير حكيم، فالصوت كان يخفت جداً إذا جرى الكلام في مؤخرة المسرح، ويقوى ويشتد حتى يعتلي حشرجة إذا جرى الكلام في مقدمة المسرح، وصوت الممثل ينبغي أن يكون نقياً خالصاً من هذه الحشرجات والنتوءات الصوتية التي قد نغتفرها في السينما

هذا — وقد كان الزوج وزوجه والحورية وأهلي بهم: الأستاذ نور الدمرداش والآنستين ملك الجمل وزهرة العلا بكير، كانوا يقومون بأدوارهم قياماً يشكرون عليه. أما الأستاذ أحمد الجزيري فقد بلغ شأواً بعيداً في تمثيله حيث كان ينطلق انطلاقاً طبيعياً لا تكلف فيه ولا صنعة مما يستحق عليه أطيب الثناء.

وبعد: فتلك كلمة إجمالية لم نذهب فيها مذهب التفصيل والإسهاب، ولم نعرض فيها إلا القليل من الحسنات والقليل من السيئات، راجين أن نتتبع الحركة الفنية القائمة بالعرض والنقد والتسجيل، ولن يحدونا إلا الحق وحده

علي متولي صلاح

الكتب

درجات الناس

تأليف الأستاذ طه محمد الساكت

للأستاذ منصور جاب الله

كلما هممت بإرسال المقال في هذا الكتاب، صرفتني عنه أشاغيل طارئة، أو حجزتني صوارف الدنيا من هم أو مرض أو عمل! بيد أني الساعة حريص على الكتابة في هذا السفر رغم هذه الشكاة التي تعرقني منذ مطالع شهر رمضان!

* * *

أول ما يطالع القارئ في هذا الكتاب صورة ضوئية لمسجد يحيى باشا الكبير في رمل الإسكندرية، والقارئ العادي لا يعرف المغزى في نشر هذه الصورة حتى يقرأ ما كتب في الصفحة المقابلة؛ إذ يروي المؤلف نص الدعاء الذي حاول «أن يدعو به مرة عقب صلاة الفاروق — أيده الله — بمسجد يحيى باشا ليؤمن المصلون على دعائه، فحال الحرس بينه وبين بغيته»

وإذن فالكتاب وليد عقدة نفسية عند المؤلف بقيت تحز في نفسه طوال هذه الحقبة. ومما يؤيد هذا المذهب أن الأستاذ المؤلف ذكر في الصفحة الأخيرة من مؤلفه أن أصوله عنده منذ أربعة عشر عاماً، أي منذ أن حاول الدعاء للمليك في مسجد يحيى باشا فحيل بينه وبين ما يريد

على أن نشر هذه الصورة العزيزة في مقدمة الكتاب قد ردني إلى الوراء بضعة وعشرين عاماً ترادفت ترادف الموج في محيط الزمان، فإني لأذكر هاتيك الحلقات التي كانت تلتئم في ذلك المسجد المعمور يتوسطها العارف بالله الشيخ محمد البوريني إمام الخديو السابق، وكيف أعادت إلى تلك الدروس ذكريات مدارسات السلف الصالح من أمثال الحسن البصري وسفيان الثوري، وأشهد أني ما حضرت درساً دينياً كان له الأثر في نفسي ما كان لشيخنا البوريني رحمه الله

ومتصفح الكتاب إذا شاء عرضه على الناس لابد واجد صعوبة، فهو من كتب التصوف التي أجهد المؤلف نفسه في جمع شتاتها ومطامنة ضروبها حتى استوت له جملة صالحة عرضها على القارئين. فهو يبدأ بمناجاة ملك الملوك: «حرمت الظلم على نفسك وجعلته بين الملوك محرماً، وأرسلت إلينا رسلك فضلاً منك وكرماً، ثم أورثت الكتاب الذين اصطفيت من عبادك، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات».

ويخلص من ذلك إلى مخاطبة «السادة الملوك» فيرفع إليهم الحديث في أدب التخضع الخاشع «هل أتتكم سادتي أنباء الأسفلين من الرعايا إذ ركبوا بحور الظلم والظلمات في سفائن